الإصدارات الحديثة:

تعريف بكتاب
حجية الحديث النبوى

أسعد أعظمى / الأستاذ بالجامعة السلفية

أصدرت شركة غراس للنشر والتوزيع بالكويت كتاب "حجية الحديث النبوي" وهو عبارة عن مجموع مقالات نفيسة فى الدفاع عن السنة الشريفة، للعلامة محمد اسماعيل السلفى الغجرانوالة رحمه الله (١٣١٤ – ١٣٨٧ هـ = ١٨٩٥ – ١٩٦٨م)، أمير جمعية أهل الحديث بباكستان سابقا، وقد قام بتعريب الكتاب فضيلة الدكتور مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى، رئيس الجامعة السلفية والمشرف على مجلة صوت الأمة، والكتاب يقع فى (٢٣٢) صفحة من القطع المتوسط، وهو مجلد بتجليد فاخر، ومطبوع على أجود أنواع الورق. وقدم له فضيلة الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد حفظه الله.

والكتاب يكتسب أهمية من نواح عدة، فموضوع الكتاب – كما هو واضح من اسمه – إثبات حجية الحديث الشريف وأنه مصدر أساسي من مصادر التشريع، وهو صنو القرآن وشقيقه، لا يستغنى أحدهما عن الآخر ولا يستقل. وهو أمر يكاد يكون مجمعا عليه بين الأمة، إلا أن هناك أصواتا ترتفع بين حين وآخر تحاول خرق هذا الاجماع وتقلل من أهمية السنة الشريفة وتورد أوهاما وشكوكا بقصد صد الناس عن شطر الدين ومرجع من مراجع الصراط المستقيم. وهذا الكتاب قد ألف للذود عن السنة والرد على الطاعنين فى حجيتها، فجزى الله مؤلفه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء.

كما يكتسب الكتاب أهمية باعتبار مؤلفه رحمه الله، فالمؤلف الشيخ محمد اسماعيل السلفي علم من أعلام أهل السنة وعبقري من عباقرة الاسلام وآية من آيات الله، فقد "كان – رحمه الله – مع ممارسته النشاطات الدينية والسياسية المتنوعة كاتبا بارعا، ومؤلفا

قديرا، ذا أسلوب شيق، وطراز رصين، وكل ما كتبه، كتبه على مستوى المسؤولية، وهو يتميز بالدقة والأمانة، والتحقيق والأصالة، فى جميع كتاباته من جهة، ومن أخرى بالاستدلال البديه من الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة، ما جعله يفوق أقرانه فى هذا المجال". (ص: ١٦) و "كان من المبادرين إلى الرد على كل من تسولت له نفسه للتشكيك فى ثوابت الاسلام، وتهوين العمل بالكتاب والسنة، والنيل من كرامة أهل الحديث، ولم يبال فى ذلك أحدا، ولم يخف فى سبيل الدفاع عن الاسلام وعقائده ومصادره لومة لائم" (ص: ٢٥ – ٢٦)

ومما زاد أهمية هذه الطبعة المترجمة إلى اللغة العربية – إضافة على ما سبق – أن الكتاب تم نقله إلى العربية بيد مترجم قدير، وأديب شهير، وباحث خبير، وهو فضيلة الدكتور مقتدى حسن محمد ياسين الأزهري حفظه الله، صاحب مؤلفات قيمة بكلتا اللغتين: العربية والأردية، وله خبرة طويلة فى الترجمة من وإلى اللغة العربية. وقد سبق أن قام بتعريب أحد مؤلفات الشيخ السلفى باسم: "حركة الانطلاق الفكرى وجهود الشاه ولي الله فى التجديد" وقد صدرت له عدة طبعات من ادارة البحوث الاسلامية بالجامعة السلفية، بنارس.

ومما زاد أهمية الكتاب أيضا أن فضيلة الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد – أحد خريجى الجامعة السلفية ببنارس، والجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية – قام بكتابة التقديم للكتاب، كما أنه تفضل بإضافة ترجمة المؤلف الشيخ محمد اسماعيل السلفى رحمه الله، وترجمة المترجم الدكتور مقتدى حسن الأزهرى حفظه الله إلى محتويات الكتاب. ويجدر بالذكر أن الشيخ صلاح الدين له عناية خاصة بهذا الموضوع، وقد صدر له – من بين ما صدر – كتاب ممتع نافع يعالج هذا الموضوع. وهو: "زوابع فى وجه السنة قديما وحديثا" وقد صدرت لهذا الكتاب طبعات عدة من الهند ومن العالم العربي. وقد سبق أن نقل إحدى مقالات الشيخ محمد إسماعيل السلفى إلى العربية وهي تحمل عنوان: "موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى".

وهذا الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به مجموع خمس مقالات حول

العنـاوين التاليـــة:

١ – أهمية الحديث التشريعية.

٢ – السنة فى مرآة القرآن.

٣ – حجية الحديث فى ضوء سيرة الرسول ﷺ .

٤ – دراسة تاريخية لموضوع الدراية وفقه الراوي .

٥ – حول واقعة الإفك .

أما المقالة الأولى فهي تقع فى نحو (٦٥) صفحة، تحدث فيها المؤلف عن معنى الخبر والأثر والحديث والسنة، ثم عن منزلة السنة، وبعد ذلك توجه إلى الرد على منكري السنة فى ذلك الوقت أمثال المولوى عبد الله الجكرالوى والمولوى حشمت على اللاهورى وغيرهم. وتحدث عن تواتر القرآن، وألقى الضوء على موضوع ظنية الحديث، وتكلم عن المراحل التى مر بها الحديث من ناحية الجمع والتدوين والترتيب، ورد على شبهات طائفة أهل القرآن ردا بليغا، كما تعرض لمطاعن القاضى محمد شفيع فى الحديث ورد عليها ردا علميا.

والمقالة الثانية (وهي تحمل عنوان: السنة فى مرآة القرآن) تقع فى نحو(٢٠) صفحة، وكما هو واضح من عنوان المقال أنه موجه إلى طائفة أهل القرآن، الذين ينكرون حجية الحديث كلية، وينادون بالاكتفاء بالقرآن وحده. فأراد المؤلف أن يثبت حجية الحديث من الآيات القرآنية، فتحدث أولا عن طرق الوحي المختلفة، ثم وضع عنوان: "ذكر الأحاديث فى القرآن الكريم". فجمع الآيات التى فيها ذكر طاعة الرسول مستقلة عن طاعةالله من خمسة عشر موضعا من القرآن الكريم على سبيل المثال، وشرحها وبين ما فيها من الدلالات الواضحة على وجوب طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم أتى بالآيات التى لا تكتمل معناها أولا تتضح بدون الرجوع إلى الأحاديث الشريفة.

والمقالة الثالثة (وهي تحمل عنوان: حجية الحديث فى ضوء سيرة الرسول ﷺ) تقع فى (١٧) صفحة، عقد المؤلف هذا العنوان لكي يثبت حجية الحديث فى ضوء سيرة الرسول

ﷺ، وبما أن الكلام موجه – فى الغالب – إلى منكري السنة، وأكثر ذخيرة السيرة النبوية جاء ت فى الأحاديث الشريفة، ومنكرو السنة لا يؤمنون بها، فلذا جمع المؤلف الآيات القرآنية المتضمنة لسيرة الرسول ﷺ من عشرة مواضع من القرآن، واستنبط منها استنباطات رائعة على حجية الحديث، وأكد على أنه لا يمكن إنكار أقوال الرسول ﷺ بعد الاعتراف بكون القرآن كتاب الله وكلامه، لأن الباحث عن سيرة النبى ﷺ فى القرآن يتخلص إلى حقيقة، وهي أن الرجل الذي اتضحت سيرته بهذه الصفة كيف يمكن أن لا تكون أقواله وأفعاله وتقريره واجتهاده محل الثقة وموضع الحجة.

والمقالة الرابعة (وهي تحمل عنوان: دراسة تاريخية لموضوع الدراية وفقه الراوى) وتقع فى (٤٢) صفحة، تعالج تهمة طالما رميت بها جماعة أهل الحديث، وهي أن أهل الحديث ليسوا أصحاب مدرسة فكرية، بل إنهم طائفة حفاظ الحديث، اشتغلوا بحفظ المتون وضبط الأسانيد، ولا يتصفون بالتفقه والدراية. فتحدث المؤلف فى هذه المقالة عن معنى الفقه لغة واصطلاحا، ثم عن فقه الاجتهاد وفقه التقليد، وللرد على الطاعنين أورد أمثلة من كتب الفقه المشهورة، تبعد كل البعد عن حقيقة الفقه والدراية، ثم تطرق إلى تحقيق كلمة الدراية وفقه الراوي، وبسط كلامه حولهما، وناقش أصحاب القلم الذين تناولوا هذا الموضوع ولم ينصفوا مع أهل الحديث.

والمقالة الخامسة وهي الأخيرة (تحمل عنوان: حول واقعة الافك) تقع فى نحو (٤٠) صفحة. وقد كتبت للرد على مقالة المدعو تمنا العمادى من طائفة أهل القرآن، الذى ادعى فى مقالته المنشورة فى مجلة طلوع اسلام (وهى من مجلات أهل القرآن) أن حديث الافك موضوع، وسوّد أوراقا كثيرة للتدليل على مزاعمه الباطلة، وقد ادعى العمادى أن جميع روايات هذه الواقعة جاء ت بطريق الزهري، وأن الزهري كان عميلا للمنافقين والكذابين، وللرد على هذه الفرية أورد المؤلف (٣٤) طريقا لهذا الحديث من دواوين السنة المتنوعة، ليثبت أن الحديث مروي بطرق أخرى كثيرة أيضا غير طريق الزهري، وليُعرف أن العمادي

مصاب بقلة المطالعة فلا يعلم عن الأئمة الذين رووا حديث الافك غير الزهري.

ثم تطرق المؤلف إلى موضوع "الإمام الزهري والرواية بالمعنى" وموضوع "الإدراج" وموضوع سماع الزهري من عروة بن الزبير، وموضوع قتلة عثمان وحرب الجمل، وموضوع عصر وضع الحديث، ومبحث فدك وخيبر والإمام الزهري، فكل هذه الموضوعات أثيرت فى مقالة العمادي المذكورة. وفى نهاية المقال رد المؤلف على الشبهات التى أوردها العمادي بهذا الخصوص. ويتضمن هذا الرد معلومات قيمة ونقاطا مهمة حول الموضوع.

وبعد : بهذا وصل الكتاب إلى ختامه، وهو يحمل بين جنبيه كنوزا ثمينة وعلوما غزيرة وحقائق كثيرة، وهو – إلى جانب كونه كتابا مهما من كتب الدفاع عن السنة – معلم تربوي لقارئه يعلمه أسلوب المناقشة الهادئة، وطريق الرد العلمي المتين، وأسلوب الحوار الهادف، وما أحوج الجيل المعاصر من الكتّاب والخطباء إلى ذلك الأسلوب الأمثل فى المناقشة والحوار مع من يخالفهم فى الرأي والاتجاه، بعيدا عن أساليب التبديع والتفسيق والتكفير، وعن تجاوز حدود الشرع والعقل فى مخاطبة المخالفين بكلمات وألقاب مشينة.

فرحم الله المؤلف رحمة واسعة، وتقبل مساعيه وجهوده التى بذلها لخدمة دينه وكتابه وسنة رسوله، وجزاه عنا وعن الاسلام خير الجزاء، ووضع القبول لكتابه المترجم هذا ولغيره من كتبه، كما وضع القبول لأصله الأردي. والدعاء موصول لمترجمه الدكتور الأزهري، الذي أتحف إخواننا الناطقين بالضاد بهذا السفر العلمي الرصين. وجهود الشيخ صلاح الدين أيضا جديرة بالشكر والتقدير حيث زين الكتاب بمقدماته النافعة، وسعى لإخراجه فى حلة قشيبة، فتقبل الله مجهوده. وللإخوة القائمين على شركة غراس أجزل الشكر وأوفر الامتنان على قيامهم بطبع هذا الكتاب ونشره وتعميمه. أحسن الله إليهم ووفقهم لما يحب ويرضى.

☆☆☆